

فى النظم العربى ، والالتئام الذى يتحدث عنه ابن خاتمة ليس من قبيل الاتساق المفترض مسبقا فى المستوى اللغوى الواحد ، ولكنه نوع من التئام الأضداد التى يعسر تلاقيها وتجاوبها بهذا القدر من السلاسة واليسر ، ومن ثم يصبح منبها حقيقيا لشعرية غير مألوفة من قبل ، إن كثرة متطلبات النسق الموسيقى للموشحة غالبا ما يودى إلى التكلف ، من هنا يصبح نموذجها الأمثل هو الذى يصفه ابن حزمون بقوله : " ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا عن التكلف "

فاذا تقدمنا خطوة أخرى فى كشف مفهوم التناص أمكن لنا أن نجد الموقع الصحيح لهذا الجنس الأدبى الذى يقوم على أساسه . ولنعمت هذه المرة على تعريف الباحثة التى اشتهرت بأنها أبرز من قدمه للنقد الحديث ، وهى " جوليا كريستيفا " إذ تقول : " إن الدلالة الشعرية تحيل إلى معانى القول المختلفة ، ومن حسن الحظ أننا يمكن أن نقرأ أقوالا متعددة فى نفس الخطاب الشعرى ، وبهذا يتخلق حول الدلالة الشعرية فضاء نصى متعدد الأبعاد ، يمكن لعناصره أن تتطابق مع النص الشعرى المتعين ، ولنتلق على هذا الفضاء اسم التناص ، ومن هذا المنظور يتضح أن الدلالة الشعرية لا يمكن أن تعتبر رهينة شفرة وحيدة ، بل تتقاطع فيها عدة شفرات لاتقل عن اثنتين ، وكل منها ينفى الآخر .. ويمكننا أن نتصور على أساس مصطلح " سوسير " فى الاستبدال خاصية جوهرية فى توظيف اللغة الشعرية هى امتصاص عديد من النصوص فى الرسالة الشعرية ، التى تقدم نفسها من ناحية أخرى كمجال لمعنى مركزى .. فانتاج النص الشعرى يتم خلال حركة مركبة من إثبات ونفى نصوص أخرى " (٢٧) .

وإذا كانت القصيدة العربية تعيش وهم البكارة اللغوية ، عندما يشترط فيها نقديا نقاء وتفرد صوتها الشعرى ، وخصوصية أبنيتها التركيبية ، وتوحد مستواها الإبداعى للمؤلف ، بحيث لا يشتم منها أية شبهة للالتقاء بأصوات أخرى ، وإن لا اعتبر ذلك من قبيل السرقات التى مثلت نسبة عالية من كتب التحليل النصى بهذا المنظور ، فإن الموشحة تقصد إلى النموذج المضاد لذلك ، عندما يعمد الوشاح إلى اختيار خرجة أعجمية ، من بقايا أغنية شعبية رومانسية ، أو عامية من قطعة غنائية دارجة ، ويبنى عمله الشعرى